المعاملات المالية في كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للهلال بن المحسن الصابئ (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)

Financial Transaction in (Touhfat-Al-Umarah Fi Tareekh Al-Wizraa) by AL-Hilal ben AL-Muhsen AL-Sabie (d. 448 H.)

م.م. محمد عبد الهادي حسن [1] Asst. L. Mohammad A. Hasan

الملخص

يعد كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للهلال بن المحسن الصابئ المتوفى عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) والذي عاش في بغداد أيام البويهيين، من الكتب التي تصدت للقضايا المالية والاقتصادية السائدة في أيامه، كما تناول سياسات الدولة وتنظيماتها الإدارية والاقتصادية من خلال التفصيلات الواردة عن وزارات علي بن محمد بن الفرات ومن جاء بعده من الوزراء، إذ ذكر فيه بعضا من الأنشطة المالية من معاملات الائتمان والإيداع، والأسباب التي تدفع الناس لإيداع أموالهم، والإقراض وأنواعه، والضمانات التي يقدمها المقترض للمقرض للاطمئنان على سلامة الأموال حين استرجاعها، ووسائل استيفائها، لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على التعاملات المالية بين الدولة بمختلف مؤسساتها أو الشخصيات المتنفذة فيها آنذاك وبين الآخرين أو بين الناس أنفسهم.

Abstract

The book masterpiece princes in the history of Minister of Hilal bin Mohsen Alsabi died in (448 AH / 1056 AD) who lived in Baghdad days

1- المديرية العامة لتربية بابل

Buyids, books that addressed the financial and economic issues prevalent in his day, also addressed the state's policies and administrative, economic, and their organizations through the details received from the Ministries of Ali bin Mohammed bin Euphrates and his successors of ministers

As he stated some of the financial activities of credit and deposit transactions, and the reasons that drive people to deposit their money, and lending, types, and guarantees provided by the borrower to the lender to check on the safety of the funds while the retrieval of, and means completeness, so came this research to shed light on the financial dealings between the state and the various institutions or powerful personalities in the then and the others, or among the people themselves.

المقدمة

حفلت العديد من الكتب في التاريخ الإسلامي سواء كانت أدبية أو تاريخية، على نصوص بينت الأحوال الاقتصادية للدولة العربية الإسلامية، وطرق التعاملات المالية والمصرفية في الأسواق أو بين الأفراد أو بين الدولة ممثلة بالخليفة أو كبار موظفيها وبين عامة الناس، وهذه المعاملات المالية قامت بها مؤسسات يديرها مصرفيون أو جهابذة أو تجار. ويعد كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للهلال بن المحسن الصابئ من الكتب القيمة التي حوت العديد من النصوص التي أرخت لهذه التعاملات المالية. لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على التعاملات المالية الجارية آنذاك في كتاب الصابئ.

وقد قام الباحث بتقسيم البحث إلى مبحثين رئيسيين: تضمن الأول موجز عن حياة الهلال بن المحسن الصابئ مؤلف الكتاب موضع البحث،أما المبحث الثاني فقد تضمن المعاملات المالية من إيداع والأسباب التي تدفع الناس إلى إيداع أموالهم والاستلاف وأنواعه وطرق استيفاء الناس لأموالهم. والضمانات التي يقدمها المقترض للمقرض للاطمئنان على سلامة الأموال حين استرجاعها، والمنهجية المتبعة في هذا البحث اعتمدت التحليل والاستنتاج، لما لهذا التحليل من أهمية في إبراز الحقائق.

وقد أفدنا من دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع، ومن جملة المصادر كتب التاريخ العام مثل كتاب تاريخ الموصل للأزدي وكتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. وكذلك بالنسبة لكتب الأدب ومنها كتاب الأغاني لابن فرج الأصفهاني وكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي وكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، كما استفاد الباحث من كتب التراجم منها وفيات الأعيان لابن خلكان وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي، ولم يخل البحث من المراجع فكان كتاب تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري لعبد العزيز الدوري وكتاب أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي لحمدان الكبيسي وغيرها من الكتب التي وافتنا بمعلومات قيمة عن هذا الموضوع، فضلاً عن العديد من المصادر والمراجع التي سنذكرها بالتفصيل في نهاية البحث.

المبحث الأول: موجز عن الهلال بن المحسن الصابئ

اسمه نسبه ألقابه:

هُوَ أبو الحسين [٢] وقيل أبو الحسن الهلال بن المحسن بن أبي اسحاق ابراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حَيّون الصابئ الحراني الكاتب [٣]. وهو من الصابئة الذين قدموا بغداد صدر الدولة العباسية؛ إذ نزحوا إليها من مدينة حران[٤] ومدينة الرقة[٥] المشتهرتين قديماً بمنازل الصابئة، وكانت مدينة بغداد آنذاك قبلة الأدباء والشعراء والمنجمين والأطباء وغيرهم، ممن يرجون بقدومهم مدينة بغداد الوصول إلى الشهرة والثروة بتقربهم إلى الخلفاء أو الوزراء والقادة العسكريين في عاصمة الخلافة العباسية، وكان ممن قدمها كما قيل: "آل زهرون وآل قرة" [٦] وهي من الأسر الصابئية الشهيرة.

ولادته وإسلامه:

ولد الهلال بن المحسن الصابئ، ببغداد في شوال عام (٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م) ونشأ بها [٧]، وقد طلب العلم والأدب على يد ثلة من الشيوخ الأجلاء منهم أبا علي الفارسي[٨] النحوي وعلي بن إدريس الرماني[٩] وأبا بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز[١٠] وغيرهم [١١]، ويبدو أن شيوخ الهلال بن المحسن أثروا فيه كثيراً، حتى أنه غير دينه ومعتقده فيما بعد، فقد أجمعت المصادر على أن الهلال بن المحسن الصابئ دخل الإسلام وحسن إسلامه، وهو أول من أسلم من بني زهرون[١٢]، وقصة إسلامه طويلة تناقلتها المصادر المعاصرة له وخلاصتها كما قيل في ذلك: " أنه رأى النبي -صلى الله عليه وآله- في النوم عام تسع

٢- الخطيب البغدادي:، أحمد بن علي، (ت، ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م): تاريخ بغداد، (دار الكتاب العربي، بيروت، لا. ت)، ج١٤ / ص٧٦ (وقد انفرد البغدادي بهذا اللقب).

٣- ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت، ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،(دار صادر، بيروت، لا. ت)، مج٦ / ص١٠١.

٤- مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م): معجم البلدن، الطبعة الثانية،(دار صادر، بيروت،١٩٩٥م)، ح٢/ص٢٣٥.

٥- الحميري، ابو عبد الله بن عبد المنعم (ت، ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق: احسان عباس،الطبعة الثانية،(مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت،١٩٨٠م)،ص ٢٧٠.

٦- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق (ت، ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م): الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية (دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م)، ص٣٦٤.

٧- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت، ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة، د. م، ١٩٩٥ م)، ج١١ / ص٣٧٧.

٨- هو أبوعلي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي، ولد بفسا وقدم بغداد فأستوطنها،علت منزلته في النحو، وأشتهر ذكره بالأفاق (ت،٣٧٧هـ/٩٨٧م).الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج٧/ص٢٨٥.

٩- هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي،كان من اهل المعرفة، مفننا في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو.(ت،٣٨٤هـ/٩٩٤م). الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤/ ص٤٦٩.

١٠- هو أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح الخراز، كان فاضلا أديبا كثير الكتب،(ت،٣٨١هـ/٩٩١م). ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢/ص٤٨٣.

١١- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م): معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، (دار الفكر الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م)، ج٦ / ص٢٧٨٣.

١٢- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٥ / ص١٥.

وتسعين وثلاثمائة فأقامه وقال له لا تُرع وحمله إلى بالوعة في الدار قال توضأ وضوء الصلاة وصلِّ وجذبه إلى جانبه وقرأ بالحمد وسورة النصر ودعاه إلى الإسلام وأسلم علي يده" [١٣].

مؤلفاته وتصانيفه:

وللهلال بن المحسن الصابئ تصانيف ومؤلفات ذكرها المؤرخون منها من وصل إلينا اكثرها ومنها من وصل بعضه ومنها من لم يَصل وضاعت لأسباب كما ضاع الكثير من تصانيف الأقدمين. وأشهر مؤلفاته: غرر البلاغة في الرسائل: وهو كتاب في (٢١) باباً يتضمن فصولاً في الكتابة وأساليبها، وكتاب الرسالة عن الملوك والوزراء: وهو مجموع رسائله الرسمية، وكتاب مآثر أهله: وهو تاريخ لأهل بيته، وكتاب الكتّاب: وهو على ما يبدو من عنوانه على غرار كتاب (أدب الكتاب) للصولي، وكتاب السياسة، وكتاب أخبار بغداد: تناول فيه أخبار بغداد وخططها، وكتاب رسوم دار الخلافة: وهو كتاب ذو موضوعات طريفة، صنفه وهو يتولى ديوان الإنشاء بدار الخلافة، وكتاب التاريخ: أشتمل على حوادث السنين التي وقعت من عام (٣٦٠ هـ حتى عام ٤٤٧ للهجرة /٩٧٠-١٠٥٥ للميلاد)، وكتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان: وهو من عيون تآليف هلال وأجلها قدراً، جمع فيه أخبار وحكايات طريفة [١٤].

ولعل أشهر كتب الهلال بن المحسن وأهمها كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: الذي افتتحه هلال بترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات[١٥]، وقد تناول في كتابه هذا تراجم أولئك الوزراء الذين وزروا لخلفاء بني العباس، وابتدأهم بابن الفرات وختمهم بالوزير عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير[١٦] الذي وزر للقائم بأمر الله العباسي (٤٢٢—٤٦٧ هـ /١٠٣٠-١٠٧٤م) وهذه فترة من الزمن تمتد نحو قرن ونصف، تناول فيها وزراء بني العباس وبني بويه وكتابهم في العراق وفارس[١٧] والري[١٨]، ذكر فيه أخبارهم وسيرهم وتفصيل أحوالهم، وتصرفهم في تدبير البلاد وسياسة الأمور، التي كان يطلع عليها أثناء القيام بعمله وإنشاء رسائله [١٩].

١٣- الصفدي: خليل بن أيبك، (ت، ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى،(دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٢٧، ص٢١٨.

١٤- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦ / ص٢٧٨٣.

١٥- هو علي بن محمد بن موسى من أهل هميثيا قرية بين بغداد وواسط،كان يتولى امر الدواوين ايام المكتفي، فلما أفضت الخلافة إلى أخيه المقتدر ووزيره العباس بقي ابن الفرات على ولايته،فلما وقعت فتنة عبد الله بن المعتز، وقتل الوزير العباس بن الحسن، استدعى المقتدر بأبي الحسن بن الفرات وقلده الوزارة،(ت،٣١٢هـ/٩٢٤م).الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١٩/ص٦٦.

١٦- هو محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، كان ناظر ديوان حلب، ثم وزر لصاحب ميافارقين،ثم وزر للخليفة القائم بأمر الله العباسي. (ت،٤٨٢هـ/١٠٨٩م).الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان (ت،٧٤٨هـ/١٣٤٧م):سير أعلام النبلاء،(دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٦م)، ج١٤/ص٩٣.

١٧- فارس:ولاية واسعة وأقليم فسيح،أول حدودها من جهة العراق ارجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل الهند سيراف ومن جهة السند مكران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤/ص٢٢٦.

١٨- الري: وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد كثيرة الفواكه والخيرات،محط الحاج وقصبة بلاد الجبال.المصدر نفسه،ج٣/ص١١٦.

١٩- تمهيد الناشر لكتاب أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لأبي الحسين هلال بن المحسن الصابئ، تحقيق وتعليق ونشر: ميخائيل عواد، (مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨ م)، ص٢١ — ٢٩.

وقد شمل هذا الكتاب الأحوال الاقتصادية السائدة آنذاك في عاصمة الخلافة العباسية والولايات والنواحي المرتبطة بها، وذكر فيه المعاملات المالية الجارية من قروض ورهن وإيداع للأموال في المؤسسات المصرفية أو عند الأفراد [٢٠].

وفاته:

توفي الهلال بن المحسن الصابئ ليلة الخميس في (١٧ رمضان عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) بعد حياة حافلة في العاصمة بغداد وفي دار الخلافة العباسية، حيث عاش مقرباً من الخلفاء والوزراء، مهتما بالعلم والأدب والتاريخ، مكباً على التأليف والتصنيف، حتى صارت مؤلفاته مصدراً مهماً للتاريخ والأدب [٢١].

المبحث الثاني: المعاملات المالية

أولاً: الإيداع:

لغةً: من ودع، وودّعْتُ: صُنتهُ في ميدع، والميدعُ: يكون ما يجعل وقاية لغيره، وأودعته مالاً: دفعته إليه وديعةً [٢٢]، يقال: استودعته وديعةً إذا استحفظته إيّاها [٢٣].

اصطلاحاً: نوع من المعاملات الخاصة بحفظ الأموال وصيانتها، وكانت هذه الأموال تحفظ عند الثقات من الناس، والصيارفة والجهابذة[٢٤]، والمؤسسات المالية الأخرى التي عرفت بتقديم مثل هذه الخدمات.

إن تفريق الأموال في الودائع كان شائعاً ومعروفاً عند العرب، والعربي مشهور بحفظ الوديعة وتفانيه في سبيل المحافظة عليها، ولعل أموال النعمان بن المنذر[٢٥] المودعة لدى هاني بن مسعود[٢٦] لدليل على ذلك، ثم أن الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- قد عرف بالأمانة في مكة المكرمة، حتى لقب بالأمين، قبل نزول

٢٠- الصابئ، الهلال بن المحسن (ت، ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨ م)، ص١١٤.

٢١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٦/ص١٠١-١٠٥.

٢٢- الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)، المحيط في اللغة: تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٩٩٤ م) ج٢ / ص١٢٨ – ١٢٩.

٢٣- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت، ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الودود ومحمد صادق العبيدي،الطبعة الثالثة،(دار إحياء التراث، بيروت، بلا ت)، ج١٥، ص٢٥٤.

٢٤- الجهابذة: جهبذ، النقاد الخبير بغوامض الأمور،البارع العارف بطرق النقد. الزبيدي،محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت،١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق: مجموعة محققين، (داراالهداية، بلات)ج٩/ ص٣٩٢.

٢٥- هوالنعمان بن المنذر بن أمريء القيس أبو قابوس.المقدسي، المطهر بن طاهر (ت،٣٥٥هـ/٩٦٦م): البدء والتاريخ،ظ٠مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،بلات)ج٣/ص٢٠٤.

٢٦- هوهانيء بن مسعود الشيباني،انتصر على الفرس في موقعة ذي قار.ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت،٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون،تحقيق: خليل شحادة،الطبعة الثانية(دار الفكر، بيروت،١٩٨٨م)،ج٨/ص٥٠٩.

الوحي، حتى قيل في ذلك: "ليس بمكة أحدُ عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عنده"[٢٧]، وكلف الإمام علي بن أبي طالب–عليه السلام– بإعادة الودائع إلى أهلها ليلة الهجرة المباركة[٢٨].

أما الأسباب التي تجعل الناس يقدمون على إيداع أموالهم عند الأشخاص أو المؤسسات فهي:

أ– خوف وغضب السلطان عليهم ومصادرة أموالهم

إذ يلجأ كبار موظفي الدولة آنذاك إلى إيداع أموالهم عند معارفهم أو عند التجار أو عند الصيارفة والجهابذة خوفاً عما ينجم من غضب السلطان عليهم، وما قد يلحق بهم من جراء ذلك من المصادرات، فكان الهلال بن المحسن الصابئ موضع ثقة الوزير فخر الملك[٢٩]، إذ أودع عنده مبلغ ثلاثون ألف دينار[٣٠]، كما تروي المصادر أمثلة لهذه الأنواع من الودائع، منها ما ذكره الأصفهاني [٣١] عن الوزير الفضل بن الربيع[٣٢]، الذي وزر للرشيد ومن بعده لابنه الأمين، أنه وتخوفاً من النكبة والمصادرة، أودع ثروته لدى مجموعة من معارفه، بغض النظر عما كان يتصفون به من الثقة أو عدمها، مجرد إخفائها عن السلطات. وما ذكره كذلك عن محمد بن عبد الملك الزيات[٣٣] وزير الخليفة الواثق بالله العباسي(٢٢٧ – ٢٣٢ هـ / ٨٤١ – ٨٤٦ م) أنه حينما شعر بتأزم موقفه،بعد أن أحس بتغير معاملة الخليفة له،قام بتوزيع أمواله على شكل ودائع على ما قيل:" لدى ثقاته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار " [٣٤]،وكانت ثروة ابن الزيات تقدر بملايين الدنانير فضلاً عن المجوهرات الثمينة [٣٥].

والوزير ابن الفرات كان معروفاً لدى الخاصة بكثرة أمواله المؤمنة لدى معارفه من القضاة والتجار وممن يثق بهم من أصحابه، حتى قيل في ذلك: " ولم يبق ببغداد قاض ولا عدل ولا تاجر مستور إلا ولابن الفرات عنده وديعة " [٣٦] وذكر أنها بلغت أكثر من مليون دينار حسب ما اعترف بها ابن الفرات [٣٧].

٢٧– ابن هشام، عبد الملك (ت، ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م): سيرة النبي، راجع أصولها وضبطها: محمد محي الدين عبد الحميد، (مطبعة حجازي، القاهرة، د. ت)، ص٩٨.

٢٨– ابن شهرآشوب، أبي عبد الله محمد بن علي (ت،٥٨٨هـ/ ١١٩٧م): مناقب آل أبي طالب
تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف،(المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،١٩٥٦ م)،ج١/ص١٤٢.

٢٩– هو ابوغالب محمد بن علي بن خلف،وزر لبهاء الدولة ثم لسلطان الدولة،وكان من أعظم وزراء آل بويه.ابن خلكان،احمد بن محمد بن ابراهيم (ت، ٦١٨هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق:إحسان عباس،(دار صادر،بيروت،بلات)، ج٥/ص١٢٤.

٣٠– ابن الجوزي: المنتظم،ج١٥ / ص٢٧٠.

٣١– أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ / ٩٦٦م): الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م)، ج٢٠، ص٣٠٨ – ٣٠٩.

٣٢– هوالفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة،وزر للرشيد وابنه الأمين.(ت،٢٦٨هـ/٨٨١م).ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٤/ص٤٠.

٣٣– هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، وزير المعتصم، من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر.ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥/ص٩٤.

٣٤– الأغاني. ج٢٣/ص٥١.

٣٥– الصابئ، الوزراء، ص١١٤

٣٦– ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، ٥٩٧هـ / ١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى، (حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٨هـ)، ج٦، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت، ٨٧٤هـ / ١٣٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دار الكتب المصرية، مصر، بلا ت)، ج٣، ص١٤٨.

وبالرغم من أن بعض هذه الودائع قد أقرَّ بها أصحابها إلى السلطان آنذاك [٣٨]، إلاّ أن الكثير منها قد حفظت وسلمت إليه كما قال الصابئ[٣٩]: "من غير أن يذهب له شيء".

ويبدو أن الوزير ابن الفرات كان على حق في تفريق أمواله على هذا النحو بسبب كثرة ما تعرض له من المصادرة بعد كل وزارة من وزاراته الثلاث التي تقلدها أبان خلافة المقتدر بالله العباسي(٢٩٥-٣١٩هـ/٩٠٧-٩٣١من)، حتى أنه كان يعتمد كلياً على ودائعه عند ثقاته وأصحابه، فبعد أن صادر المقتدر بالله العباسي أمواله وممتلكاته بعد وزارته الأولى(٢٩٦ – ٢٩٩هـ / ٩٠٨ – ٩١١م) أخذ يتفقد ويتتبع ودائعه وأماناته، فكان مبلغها كما ذكر الصابئ[٤٠] خمسمائة ألف دينار، وبعد أن ألقي القبض عليه والقي في السجن أثر عزله من الوزارة الثانية (٣٠٤ – ٣٠٦هـ / ٩١٦ – ٩١٨م)، أضطر خلالها إلى اللجوء للدين، فقد اقترض لسد نفقاته، وهو ما أشار إليه الصابئ [٤١]على أن يرد الدين بعد شهرٍ اعتمادا على ودائع كانت له عند بعض أصحابه.

ويبدو أن الأموال إذا تفرقت عند مجموعة من الخزان سواء أكانوا قضاة أو تجار أو عدول، كان أحفظ وأوثق لها [٤٢]، كما هو الحال عند الوزير ابن الفرات.

ولم يكن الوزير ابن الفرات الوحيد الذي سلك هكذا طرق لحفظ أمواله، فترى كذلك أمواله عام (٣١١هـ / ٩٢٣م) حتى خف إلى منزله وتصرف في الأمر حتى قيل: "استظهر بتفريق ماله في الودائع" [٤٣].

ب–الادخار:

إذ يتخذ البعض من الودائع وسيلة للادخار لضمان مستقبلهم ومستقبل أبنائهم، من ذلك ما رواه الجهشياري[٤٤] عن ابن المدبر أحد كتاّب الخراج في خلافة المأمون(١٩٨/ ٢١٨هـ) كان سبب ثرائه يعود إلى مبلغ خمسة آلاف درهم أودعها أبوه لدى أحد معارفه.

أما عن أماكن حفظ الأموال والودائع، فأن قسماً من الأموال كانت تودع لدى الصيارفة والجهابذة، وهناك نصوص تاريخية أشارت إلى أماكن أخرى كانت تتخذ للحفاظ على الأموال وصيانتها، منها

٣٧- القرطبي، عريب بن سعد، (ت، ٣٦٩هـ / ٩٧٩م): صلة تاريخ الطبري، طبع مع ذيول تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(دار سويدان، بيروت – لبنان)، ص٦٩.

٣٨- التنوخي، المحسن بن علي (ت،٤٤٢هـ/١٠٥٠م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي،(بيروت، ١٩٧٢م)، ج٤، ص٢٨ – ٣٠؛ مسكوية، أحمد بن محمد، (ت، ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)؛ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، اعتناء: هـ، ف، مدروز، (مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٩١٥م)، ج ١، ص٦٧ – ٦٨.

٣٩- الوزراء، ص١١٤.

٤٠- الوزراء، ص٣٧.

٤١- الوزراء، ص٩٧.

٤٢- الأبّهيشي، محمد بن أحمد، (ت، ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م): المستطرف في كل فن مستظرف، (القاهرة، ١٣٦٨هـ)، ج١، ص٢٠٧.

٤٣- مسكوية، تجارب الأمم، ج١، ص١١٧.

٤٤- محمد بن عبدوس (ت، ٣٣١هـ / ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٣٨م)، ص١٩٩.

إيداعها عند الثقات من الناس ممن عرفوا بالورع والزهد والأمانة،فقد ذكر الصابئ[٤٥]: " توفي الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد[٤٦]... فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته حتى أحاطوا على الدار والخزائن. ووجد له كيس فيه رقاع أقوام، بمائة ألف وخمسين ألف دينار، مودعة عندهم فاستدعاهم وطالبهم بذلك، فأحضروه، ومنها ألف درهم لخالد بن عبد الله القسري[٤٧]كان قد أودعها عند زيد بن الإمام علي بن الحسين السجاد -عليهما السلام- [٤٨]، كما قيل ان الأموال كانت تودع عند أبي حنيفة[٤٩](صاحب المذهب المعروف) وبعد وفاته وجد عنده الكثير منها، وقيل في ذلك: " حيث بلغت أقيامها ثلاثين ألف درهم "[٥٠].

ولحامد بن العباس[٥١]ثلاثمائة ألف دينار مودعة لدى جماعة من الشهود والعدول [٥٢] ولأبي القاسم الفضل بن المقتدر الذي تلقب بالمطيع لله بعد توليته الخلافة عام (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) عشرة آلاف ديناراً أودعها قبل توليته الخلافة لدى الشريف أبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي[٥٣].

ويعد القضاة من أهم الوجوه التي يلجأ إليها كبار موظفي الدولة آنذاك والميسورين وحتى عامة الناس، لحفظ أماناتهم والاطمئنان عليها، لأن منصب القاضي من المناصب المهمة في الدولة، وكان الخلفاء والحكام يحاولون جهد إمكانهم اختيار شخصية لهذا المنصب ممن تتوفر فيه المقدرة والكفاءة والأمانة والصلاح والنزاهة؛ لأن الناس كانوا يركنون إليهم لحل مشكلاتهم وحفظ ودائعهم؛ وقد أشارت المصادر إلى أن أهل البلد وحتى الغرباء كانوا يأتمنون القاضي، فقد أودع خراساني عشرة آلاف درهم لدى أبي حسان الزيادي (ت، ٢٤٢هـ / ٨٥٦م) أحد قضاة بغداد [٥٤].

٤٥- الوزراء، ص١٧٩.

٤٦- هواسماعيل بن ابي الحسن عباد بن العباس بن العباد الطالقاني،وزر لمؤيد الدولة ابي منصور البويهي، وعندما مات وزر لفخر الدولة ابي الحسن علي.(ت،٣٨٥هـ/٩٩٥م).ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج١/ص٢٣٢.

٤٧- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز، ولي إمارة مكة للوليد وسليمان ابنا عبد الملك، وولي العراقين لهشام بن عبدالملك.(ت،١٢٦هـ/٧٤٣م). ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله (ت،٦٦٠هـ/١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق: سهيل زكار(دار الفكر،لام،لات)،ج٧/ص٣٠٨٨.

٤٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، (ت، ٢٨٤هـ / ٨٩٧م): التاريخ، (دار صادر، بيروت، لا. ت)، ج٢ / ص٣٢٥.

٤٩- هوالنعمان بن ثابت مولى لبني تيم الله بن ثعلبة وهو صاحب الرأي،(ت، ١٥٠هـ/٧٦٧م).ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت،٢٣٠هـ/٨٤٤م):الطبقات الكبرى،تحقيق:إحسان عباس،(دار صادر،بيروت،١٩٦٨م)،ج٦/ص٣٦٨.

٥٠- الغزي، تقي الدين بن عبد القادر، (ت، ١٠١٠هـ / ١٦٠١م): الطبقات السنية في تراجم الحنفية، (لا. م، لا. ت)، ج١ /ص١١٨.

٥١- هوابو الفضل الخراساني،كان من رجال العالم،ذا شجاعة وإقدام،تقلد أعمالا جليلة في فارس والسواد، ثم صار وزيرا أيام المقتدر بالله العباسي(ت،٣١١هـ/٩٢٣م).الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١١/ص٢٢٠.

٥٢- مسكوية: تجارب الأمم ج١/ص٦٧؛ الهمداني، محمد بن عبد الملك، (ت، ٥٢١هـ / ١٠٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار سويدان، بيروت، لا.ت)، ص٢٣٤

٥٣- الهمداني: تكملة، ص٣٩٥.

٥٤- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، جمع وتعليق: ميخائيل عواد،(بيروت، ١٩٦٥م)، ص٣٦؛ التنوخي، المحسن بن علي، (ت، ٣٨٤هـ /٩٩٤ م): الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي،(دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م)، ج٢ / ص٢٢٣.

وقد ذكر الصابئ[٥٥] أن الوزير العباس بن الحسن [٥٦] كان قد أودع مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار عند القاضي يوسف بن يعقوب، وللوزير علي بن محمد بن الفرات مبالغ مودعة عند القاضي محمد بن يوسف قدرت بمائة ألف دينار[٥٧] إضافة إلى ثلاثة آلاف دينار، أودعها لديه ابن الفرات باسم ابنه الحسن [٥٨] كما أشار الصابئ[٥٩] إلى أموال أخرى للوزير ابن الفرات كان قد أودعها لدى القاضي أبي جعفر احمد بن إسحاق بن البهلول، وهو ما أشار إليه آخرون [٦٠].

والتجار وخاصة الثقات منهم من الجماعة التي يلجأ إليهم الأفراد لحفظ ودائعهم، فقد ذكر الصابئ[٦١] أنه كان للمحسن ابن الوزير ابن الفرات أموالاً مودعة عند عدد من تجار سوق العطش[٦٢] في بغداد، كما كان لأبيه الوزير ابن الفرات أموالاً كبيرة مودعة عند جماعة من التجار [٦٣]. منها سبعمائة ألف دينار عند تاجرين من معارفه وعشرة آلاف دينار عند التاجر المعروف بأبي بكر بن قرابة [٦٤].

ويعد وكلاء الأعمال من الجهات التي يودع عندهم كبار موظفي الدولة أموالهم، فقد أودع مؤنس الخادم[٦٥] أموالاً لدى وكيل ضياعه بعكبرا[٦٦]، وقدرت هذه الأموال بأكثر من خمسين ألف دينار [٦٧].

وللكتاب منزلتهم الرفيعة من الأمراء والوزراء، فقد كانوا يستعينون بهم لتسيير شؤون الدولة ومكاتبة الولاة والدول، وتحرير العهود والوعود وغيرها، كما أوكلت إليهم مهمة حفظ الأموال والودائع، منهم علي بن الهيثم كاتب الوزير الفضل بن الربيع الذي أودع عنده الأخير قسطاً من أمواله [٦٨]، وكذلك الوزير علي بن محمد بن الفرات أودع كاتبه أبي بشر بن فرجويه جملة من أمواله، ولبجكم[٦٩] مائة ألف دينار مودعة عند كاتبه أبي جعفر بن شيرزاد [٧٠].

٥٥- الوزراء، ص٣٣.

٥٦- العباس بن الحسن: وزر للمكتفي والمقتدر، قتل عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م، ينظر: القرطبي عريب: الصلة، ص٣٠ – ٣١.

٥٧- المصدر نفسه، ص٧٠.

٥٨- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص٦٧.

٥٩- الوزراء، ص١١٣.

٦٠- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج٤/ ص٢٨–٢٩؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢/ ص ١٤٩–١٥٠.

٦١- الوزراء، ص٦٩.

٦٢- كان اكبر محلة في الجانب الشرقي ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى بناه سعيد الحرشي للخليفة المهدي وحول اليه التجار ليخرب الكرخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣/ص٢٨٤.

٦٣- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص٤٤.

٦٤- الصابي: الوزراء، ص٥٩.

٦٥- هو احد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، وكان خادما ابيض فارسا شجاعا سائسا داهية، ندب لحرب المغاربة العبيدية،وولي دمشق للمقتدر،بقي ستين سنة أميرا، وعاش تسعين سنة، قتل علي يد القاهر بالله العباسي سنة(٣٢١هـ/٩٣٣م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١/ص ٣٧٥.

٦٦- هي بليدة من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤/ص١٤٢.

٦٧- القرطبي عريب: الصلة، ص١٤٤.

٦٨- الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠ / ص٣٠٨.

٦٩- هوابو الخيرالأمير التركي، كان امير الأمراء، كان يفهم العربية ولايتكلم بها،استوطن واسط، (ت،٣٢٩هـ/٩٤٠م).الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠/ص٤٨.

٧٠- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص٤٤.

وفي المصادر إشارات إلى أشخاص آخرين حفظت عندهم بعض الأموال، فقد ذكر الصابئ[٧١] أن المحسن بن الوزير علي بن محمد بن الفرات قام بإيداع ثلاثين ألف دينار عائدة لزوجته لدى أحمد بن ما شاء الله الذي كان يتولى بيع غلات ضياعهم، ومنهم عطار في بغداد أودع عنده أحد الغرباء الوافدين على العراق عقداً قيمته ألف دينار [٧٢].

والخليفة القاهر بالله العباسي (٣١٩/٣٢٢هـ/٩٣١-٩٣٣م) أودع طبيبهُ الخاص عيسى مبلغ عشرين ألف دينار، ومائة وخمسين ألف درهم [٧٣].

إن عملية إيداع الأموال عند الجهات التي ذكرناها، لا يعني سلامتها جزءً أو كلاً، وردها في الوقت الذي يحتاج إليها المودع أو رغبته في استعادتها إذ أن بعض من اؤتمنوا على تلك الودائع تنكروا لها، كما فعل كاتب الوزير الفضل بن الربيع [٧٤]. وكذلك إنكار الجماعة الذين كانت لديهم ودائع لجبرائيل بن بختيشوع[٧٥]، كما أنكر العطار البغدادي الذي أودع عنده العقد [٧٦].

ومنهم من يسعى بخبرها إلى السلطات فيتم مصادرتها كما أشار إلى ذلك الصابئ[٧٧]، فقد وشى القاضي ابن البهلول بسرّ الوديعة التي عنده والخاصة بالوزير ابن الفرات إلى الخليفة المقتدر بالله العباسي، معللاً ذلك بأنه لا يستطيع الكذب فيما يُسأل عنه، كما ذكر الصابئ[٧٨] أن أحمد ماشاء الله بائع الغلات الخاصة بضياع الوزير ابن الفرات بلغ السلطات آنذاك عن وديعة خاصة بزوجة الوزير المذكور، وقد اقتص ابن الفرات منه فيما بعد بسجنه ثم قتله.

وبعضهم لا يدفع الوديعة لأصحابها دفعة واحدة، وإنما على أقساط على سبيل المماطلة، كما فعل الكاتب ابن شيرزاد بودائع بحكم التي لديه [٧٩]، ثم هناك ودائع قد يجهل أمرها في حالة وفاة أصحابها، ولسلامة ذلك، يجب أن يحتفظ أصحابها بثبت يبين ما لديهم من الودائع، تدون فيها التفصيلات الخاصة بأقيام مبالغها وأسماء الأشخاص المودعة لديهم، كي يمكن استردادها [٨٠].

وقد يلجأ بعض أصحاب الودائع والأموال إلى دفنها في باطن الأرض معتقدين إنها الطريقة الأكثر أماناً لسلامة ثروتهم، ولدرء الأخطار التي قد تحف بأموالهم، متناسين ما قد تتعرض له ودائعهم من التلف أو الضياع بسبب عدم معرفة الغير بأماكنها في حالة غيابهم لأي سبب، وهو ما أشار إلى ذلك

٧١- الوزراء، ص٢٣٦.

٧٢- ابن حجة الحموي، أبي بكر بن عل بن محمد، (ت، ٨٣٧هـ / ١٤٢٧م): ثمرات الأوراق، (القاهرة، ١٣٦٨هـ)، ج١ / ص١٤٣.

٧٣- ابن الجوزي: المنتظم، ج٦/ ص٢٦٦.

٧٤- الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠ /ص٣٠٨ – ٣٠٩.

٧٥- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت، ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (دار الآثار، بيروت، لا. ت)، ص٩٩.

٧٦- ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ج١ / ص١٤٣.

٧٧- الوزراء،ص ١١٣ – ١١٤.

٧٨- الوزراء،ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

٧٩- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص٤١٦.

٨٠- المصدر نفسه، ج٢ / ص١٨٧ – ١٨٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢ / ص١١٦.

الصابئ[٨١] على مثل هذه الكنوز المدفونة، فقد اشتهر الوزير حامد بن العباس بدفن أمواله في البلاليع والآبار، منها أربعمائة ألف دينار من أحد الآبار، وخمسمائة ألف دينار في بلاليع بمدينة واسط [٨٢]، وفي عام ٣٠٢هـ / ٩١٤م، وجد لابن الجصاص[٨٣] عدد من الجرار والقماقم المدفونة في داره وداخلها الأموال [٨٤]. أما بجكم فقد اشتهر بكثرة الأموال التي دفنها في داره، وفي البساتين والصحاري [٨٥]، ومعظم هذه الأموال لم يستطع أحد العثور عليها وضاعت كما قيل في ذلك: " بموته الدفائن " [٨٦]، وذكر الهمداني [٨٧] أن خادماً لبجكم أخبر الخليفة المتقي بالله العباسي (٣٢٩-٣٣٣ هـ / ٩٤٠-٩٤٤م)، ببعض هذه الدفائن وتم استخراج ست وثلاثين ألف درهم منها، كما وجدت له بعض الأموال والودائع المدفونة فيما بعد وقد بلغت أقيامها مليونا ومائتي ألف دينار [٨٨].

وللوزير المهلبي [٨٩]جملة من الأموال المدفونة التي لايعرف بخبرها غير كاتب له [٩٠]،وعندما تمت مصادرة الصقربن محمد الكاتب عام (٣٢٨هـ / ٩٣٩م) أجبر على استخراج عشرة آلاف دينار من أموال كان قد دفنها وأخفاها، لتكون ذخراً له ولأولاده [٩١].

وذكر أن شخصاً أودع باطن الأرض عشرة آلاف دينار "للحوادث" [٩٢]. وآخر أراد المحافظة على ثروته تجنباً من السرقة، فقام بوضع ثلاثة آلاف دينار في إناء، وقيل في ذلك: " وحفر لها في عرض حائط كان بين بيتين من داره " [٩٣]وذكر الصابئ[٩٤] في كتابه: أنه عثر على دفين لأبي علي الحسن بن إبراهيم النصراني الخازن في بيته فاستخرج منه أكثر من تسعين ألف دينار.

٨١- الوزراء، ص٣٢٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦ / ص١٨٣؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت، ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م): البداية والنهاية،الطبعة الأولى، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ج١١/ ص١٤٩.

٨٢- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص١٠٢؛ الهمداني: التكملة، ص٢٣٤.

٨٣- هوابو عبد الله الحسين بن عبد الله البغدادي،الجوهري التاجر الصفار،ذو الأموال،صودرت امواله ايام المقتدر بالله العباسي،(ت،٣١٥هـ/٩٢٧م).الذهبي: سير اعلام النبلاء،ج١٤/ص٤٧٣.

٨٤- القرطبي، عريب: الصلة، ص٤٨؛ الهمداني: التكملة، ص٢٠٥.

٨٥- الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله، (ت، ٣٣٥هـ / ٩٤٦م): أخبار الراضي والمتقي، نشره: ج. هيورت،الطبعة الثانية،(دار الميسرة، بيروت، ١٩٧٩م)، ص١٩٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٣٢٠؛ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، (ت، ٥٨٠هـ / ١١٨٤م): الأنباء من تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، (لايدن، ١٩٧٣م)، ص١٦٨.

٨٦- ابن الجوزي: المنتظم، ج٦ / ص٣٢٠ - ٣٢١.

٨٧- التكملة، ص١٢٢.

٨٨- ابن الزبير، القاضي الرشيد، (ت، القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي): الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مراجعة: صلاح الدين المنجد،(الكويت، ١٩٥٩م)، ص٢٣١.

٨٩- هوالحسن بن محمد بن عبد الله من ولد المهلب بن ابي صفرة،وزر لمعز الدولة، وكان سريا جوادا، (ت،٣٥٢هـ/٩٦٣م). الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٢/ص٢٥٤.

٩٠- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج٤ / ص١٢٣.

٩١- الصولي: أخبار الراضي والمتقي، ص١٤٠.

٩٢- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ / ص٣٨٦.

٩٣- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١ / ص٣٤٢.

٩٤- الوزراء، ص٩٠.

إن عادة دفن الأموال لها مردودات سلبية إزاء الحياة الاقتصادية وعلى كمية النقود المتداولة، إذ أن تجميد هذه السيولة النقدية الضخمة، قد تتعرض للضياع والفقدان بوفاة أصحابها [٩٥]، ثم أن إيداعها وبصورة خاصة عند الصيارفة والجهابذة والبيوتات المالية فيها إسناد للنشاط الاقتصادي، حيث يقوم هؤلاء باستثمارها في أعمال اقتصادية أخرى [٩٦].

ثانياً. الاستلاف:

السلف: القرضُ، والفعل أسلفت، يقال سلَّفتُه مالاً، أي: أقرضته [٩٧]، والسلف: " نوع من البيوع يعجل فيه الشحن وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم [٩٨].

وفي المعاملات المالية يكون الاستلاف على وجهين، " أحدهما القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الأجر والشكر، وعلى المقترض رده كما أخذه، والعرب تسمي القرض سلفاً، والثاني هو أن يعطي مالاً في سلع إلى أجل بزيادة في السعر الموجود عند السلف وذلك منفعة للمسلف ويقال له سلم " [٩٩].

وأعطى البغدادي [١٠٠] توضيحاً للقرض قائلاً: " القرض بفتح القاف وكسرها وهو ما تعطيه غيرك من المال لتقضاه، والفرق بينه وبين الديَن، أن الديَن أعم منه يكون ثمن مبيع وغيره والقرض خاص بالنقد من غير ربح ".

وأشار الصابئ[١٠١] إلى أن كلا النوعين من هذه المعاملات المالية، كان جارياً في أسواق التعامل الصيرفي آنذاك، والمصادر تطلب صيغة الاقتراض والاستلاف بصورة عامة على كل مبلغ يسدد بالآجل.

يتضح مما سبق أن الاستلاف هو نوع من المعاملات المالية التي تدل على مبالغ مالية ممنوحة من أفراد أو مؤسسات مالية (صيارفة أو جهابذة[١٠٢]) إلى أشخاص ملزمين بإرجاعها في وقت متفق عليه من الطرفين، والمستلفون أما يقضون بها حاجة آنية ملحة لا يستطيعون الإيفاء بها دون قرض أو يستخدمونه كرأس مال والعمل به في الأسواق، ثم تسديده من أرباح أعمالهم في الوقت المعلوم، وهو أمر متعارف

٩٥- الكبيسي، حمدان عبد الحميد: أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م)، ص١٦٢.

٩٦- السعدي، أمل عبد الحسين عباس: الصيرفة والجهبذة في العراق من القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري،رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه آداب في التاريخ الإسلامي،(بغداد، ١٩٨٥م)، ص٢٦٦.

٩٧- الأزهري، محمد بن أحمد، (ت، ٣٧٠هـ / ٩٨١م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١١م)، ج٢ / ص٢٩٩.

٩٨- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت، ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م): مختار الصحاح،(القاهرة، ١٩٥٠م)، ص٣٣١.

٩٩- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، (ت، ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي،الطبعة الأولى،(دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ج٢، ص٣٩٠؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت، ١٢٠٥هـ / ١٧١٩م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، (دار الهداية، بلا. م، بلا. ت)، ج٢٣ / ص٤٥٣.

١٠٠- عبد القادر بن عمر، (ت، ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،الطبعة الأولى، (المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٢٩٩هـ)، ج٣ / ص٢٥٦.

١٠١- الوزراء، ص٩٣.

١٠٢- الجهبذ: النقاد الخبير بغوامض الأمور،البارع العارف بطرق النقد، وهو معرب.الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس،ج٩/ص٣٩٢.

عليه ومتفق عليه، على اعتبار أن العمل له جناحين رأس مال وجهد بشري (فكري أو عضلي) ويلزم توفرهما لحركة العجلة الاقتصادية.

وقد يكون المستلفون مؤسسات الدولة الرسمية في حالة عجز بيت المال أو المزارعون لغرض تطوير إنتاجية الأرض، أو التجار إذا أرادوا الدخول في استثمارات جديدة تدر عليهم أرباحاً. ومن أهم الجهات التي كانت تقدم القروض التجار، فقد أشار الصابئ[١٠٣] أن الوزير علي بن عيسى[١٠٤] كان يعتمد على التجار في حالة حاجة الدولة للمال ولم يكن له وجه تدبيره فيستلفه من التجار، كما أحتاج من قبل إبراهيم بن المهدي[١٠٥] إلى المال حين بويع للخلافة عام (٢٠٢هـ/ ٨١٧م) لتسيير أموره، فتوجه إلى التجار فطلب منهم قروضاً، من جملتها عشرة آلاف دينار اقترضها من التاجر عبد الملك الزيات [١٠٦].

وفي خلافة المعتمد بالله العباسي (عام ٢٥٦- ٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢ م)، توجهت الخلافة إلى التجار لإمدادها بالقروض المطلوبة لمحاربة الصفارين [١٠٧].

وقد ذكر الصابئ[١٠٨] أن الخليفة الراضي بالله العباسي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م)التجأ إلى تاجر معروف حين لحقته ضائقة مالية قائلاً: " فما أجد في زماني مياسير من الكتاب والتجار يحمل بمثلهم الملك ويلجأ المهم إليهم مثل ابن الجصاص في التجار ومن يقاربه" [١٠٩]. وفي عام (٣٢٣هـ / ٩٣٤م) احتاج الوزير ابن مقلة[١١٠] أموالاً لتدبير أمور الخلافة، فذهب إلى مدينة الموصل وطلب القروض من بعض تجار الدقيق فيها، والتي وصلت مبالغها أربعمائة ألف دينار [١١١]، وقد التجأ هذا الوزير مرة أخرى إلى طلب القروض من نفس التجار عام (٣٢٤هـ / ٩٥٣م)، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وقيل في ذلك: " فاستتروا " [١١٢]، وهذا يدل على عدم التزام الوزير بإيفاء ما ترتب عليه من الالتزامات في العام الماضي.

١٠٣- المصدر نفسه، ص٩٤.

١٠٤- هوعلي بن عيسى بن داوود بن الجراح، أصله من الفرس، كان محمودا في وزارته، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، وزر للمقتدر بالله وللقاهر بالله العباسي.(ت،٣٣٤هـ/٩٤٥م).الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،ج١٢/ص١٥.

١٠٥- هو ابراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي،ويعرف باب شكله،بويع له بالخلافة في بغداد في ايام المأمون، فلما ضفر به عفا عنه،(ت،٢٢٤هـ/٨٣٨م).الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،ج٦/ص١٤٠.

١٠٦- الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله، (ت، ٣٣٥هـ / ٩٤٦م): أشعار أولاد الخلفاء، عنى بنشره ج. هيورت،الطبعة الثانية، (دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م)، ص٢٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ /ص٤٤٦؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت، ٧١١هـ / ١٣١١م): مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، (مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٥م)، ج٧ / ص٢٨١.

١٠٧- الشابشتي، علي بن محمد، (ت، ٣٨٨هـ / ٩٩٨م): الديارات، تحقيق: كوركيس عواد،الطبعة الثانية،(مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م)، ص٢٧١.

١٠٨- الوزراء، ص٩٤.

١٠٩- الصولي: أخبار الراضي والمتقي، ص١٦.

١١٠- هو ابو علي بن الحسين الكاتب المشهور،كان اول امره يتولى اعمال فارس ويجبي خراجها، ثم استوزر ايام المقتدر بالله والقاهر بالله العباسي،(ت، ٣٢٨هـ/٩٣٩م).ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥/ص١١٧.

١١١- مسكوية: تجارب الأمم، ج١ / ص٣٢٦؛ الهمداني: التكملة، ص٢٩٥.

١١٢- الصولي: أخبار الراضي والمتقي، ص٧٦.

ولم يقتصر دور التجار إلى منح القروض إلى السلطات فقط، فهناك نصوص كثيرة إلى قروض خاصة قدمها لأفراد من عامة الناس، منها ما ذكره الأصفهاني [١١٣] عن ابن عبدل[١١٤] أحد شعراء الدولة الأموية من أنه التمس قرضاً من أحد التجار، وتروي المصادر أن محمد بن إبراهيم الإمام[١١٥] ركبه ديناً عظيماً قدر بمليون درهم، فذهب إلى الفضل بن يحيى[١١٦] طالباً منه التوسط في اقتراض هذا المبلغ له من التجار [١١٧].

وأشار الأزدي [١١٨] إلى الضائقة المالية التي تعرض لها علي بن عيسى بن ماهان[١١٩] عام(١٤٩هـ / ٧٧٦م)، اضطر فيها إلى الاقتراض من أحد التجار مقدار ما يكفيه لنفقة طريقه. والتمس الريان بن الصلت أحد رجال الخلافة في عهد المأمون، من التجار قرضاً بألفي درهم، فلم يسعفوه، لعدم تسديده ما بذمته من القروض السابقة [١٢٠]، وهناك مبلغ ألف ومائتي درهم اقترضه الواقدي قاضي الخليفة المأمون العباسي من أحد التجار [١٢١]، ومحمد بن الفضل الجرجاني الذي تقلد عملاً في ديار ربيعة أيام المعتصم بالله العباسي(٢١٨-٢٢٧هـ٨٣٣-٨٤١م)، اقترض من التجار لحاجته إليه [١٢٢]، وذكر السبكي[١٢٣] أن أحد دارسي الفقه في بغداد استقرض خمسين ديناراً من تاجر في قطيعة الربيع، لتأخر النفقة التي كانت ترسل إليه من ذويه.

وذكر الصابئ[١٢٤] أن أحد الأشخاص طلب من أحد التجار، أيام وزارة ابن الفرات للخليفة المقتدر بالله العباسي، قرض بمبلغ خمسون ألف درهم، ليقدمه للوزير بناء على معاملة خاصة بينهما. واقترض أحد قادة الخليفة المعتضد بالله العباسي،(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) مبلغاً كبيراً من تاجر معروف، وماطل في تسديده حتى كاد التاجر أن يقدم ظلامة به إلى الخليفة [١٢٥].

١١٣- الأغاني، ج٢ / ص٣٧٩.

١١٤- هوالحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي،شاعرمجيد في طبقته هجاء، من شعراء الدولة الأموية.(ت،في حدود المائة الهجري /٧١٨م). ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج ٢/ص٢٠٤.

١١٥- هو ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب،كان يلي امارة الحج في خلافة المنصور عدة سنين،(ت،١٨٥هـ/٨٠١م).الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،ج١/ص٤٠٢.

١١٦- هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي،استوزر ايام الرشيد،(ت،١٩٢هـ/٨٠٧م).ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٤/ص٣٥.

١١٧- البيهقي، إبراهيم بن محمد، (كان حياً عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م): المحاسن والمساوئ، (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٦م)، ج١ / ص١٥٨؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٩٥؛ ابن الطقطقا، --- محمد بن علي بن طباطبا، (ت، ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م)، ص٢٠٣ — ٢٠٤.

١١٨- يزيد بن محمد بن أياس، (ت، ٣٣٤هـ / ٩٤٥م): تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص٢١٠.

١١٩- هو قائد جيش الأمين الذي قتل على يد طاهر بن الحسي سنة(١٩٥هـ/٨١٠م).ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٢/ص٥١٨.

١٢٠- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب، ص٣٢؛ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٣٤٦.

١٢١- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣ / ص١٩ — ٢٠.

١٢٢- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ /ص٢٨.

١٢٣- عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت، ٧٧١هـ / ١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،الطبعة الأولى،(مطبعة عيسى البابي، ١٩٧١م)، ج٣ / ص٢٧٣.

١٢٤- الوزراء، ص٢٨٢.

١٢٥- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ / ص٣٨٩؛ نشوار المحاضرة، ج١ / ص٣١٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٥ / ص١٣٠ — ١٣١.

وكان التجار يقرض بعضهم البعض الآخر [١٢٦]، وقد ذكر التنوخي[١٢٧] بهذا الصدد أن بزازاً قدرت المبالغ التي اقترضها من التجار ما يقارب الأربعة آلاف دينار.

وهناك إشارات في المصادر إلى جهات أخرى كانت تقوم بإعطاء القروض، من ذلك ما ذكر عن امرأة ثرية من أهل الكوفة، كانت تقدم القروض لمن يلتمس منها ذلك [١٢٨].

وعادة ما كانت تتخذ تدابير لضمان إيفاء القروض، منها ما هو خاص بتحديد وقت معلوم للتسديد، وأخرى لها علاقة بالضمانات المقدمة التي تكون بديلاً عن المال المقترض في حالة عدم تسديده في الموعد المتفق عليه، ومن حيث تحديد وقت التسديد، تختلف القروض منها:

أولاً: سلف مؤجل[١٢٩]

حيث يدفع المبلغ بأكمله في وقت يتم تحديده باتفاق الأطراف المتعاقدة [١٣٠]، ومن ذلك مبلغ حدد تسديده عند طلوع الهلال [١٣١]. أي بعد شهر من تسلمه، وعشرة آلاف دينار حدد لتسديدها أربعة أشهر [١٣٢]، وقرض مبلغه خمسة آلاف دينار حدد تسليمه " إلى الموسم " [١٣٣]، أي وقت الحصاد، وبعض منها يحدد إلى العطاء [١٣٤]، وذكر الجاحظ [١٣٥] قرضاً بمبلغ ألف درهم حدد موعده إلى ستة، وثلاثمائة دينار اقترضها وزير المعتضد بالله العباسي عبيد الله بن سليمان[١٣٦] بعد عزله عن الوزارة حدد غرمائه وقت تسديده خلال أسبوع فقط [١٣٧].

ثانياً: الاستلاف المنجم[١٣٨]

الذي يدفع بشكل أقساط، يحدد كمية ووقت التسديد كل قسط منها [١٣٩]، من هذه القروض ألف درهم، قسطت على مائة درهم شهرياً، تؤدى كما قيل في ذلك: " في هلال شهر كذا من عام كذا "

١٢٦- الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري،الطبعة الثانية، (دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م)، ص١٣٠.

١٢٧- نشوار المحاضرة، ج٣ / ص٥٠.

١٢٨- الأصفهاني، الأغاني، ج٢ / ص٣٧٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢/ ص٢٧٠.

١٢٩- الدمشقي، جعفر بن علي (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي،(مطبعة الغد، الإسكندرية، ١٩٧٧م)،ص٦٠.

١٣٠- الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٢٩.

١٣١- الأصفهاني: الأغاني، ج٢ / ص٣٧٩.

١٣٢- الهمداني: التكملة، ص٣٩٥.

١٣٣- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت، ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، (مطبعة القدسي، القاهرة، ١٣٦٩هـ)، ج٦ / ص٢٤٠.

١٣٤- النسفي، عمر بن محمد، (ت، ٥٣٧هـ / ١١٤٢م): طلبة الطلبة، (دار الطباعة العامرية، القاهرة، ١٣١١هـ)، ص٦٥.

١٣٥- عمرو بن بحر، (ت، ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون،الطبعة الرابعة، (بيروت، ١٩٤٨م)، ج٤، ص٦؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت، ٢٧٦هـ / ٨٨٦م): عيون الأخبار،(المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٣م)، ج١ / ص٢٥٧.

١٣٦- هوابو القاسم وزير المعتضد،كان شهما مهيبا شديد الوطأة،متمكنا من المعتضد (ت،٢٨٨هـ/٩٠٠م). الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ١٠/ص٤٩٩.

١٣٧- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج٢ / ص١١١ – ١١٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١ / ص٢٤٧.

١٣٨- الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٦٠.

(١٤٠)، وأشار التنوخي(١٤١) إلى قرض مبلغ أربعة آلاف دينار اتفق على تسديده لمدة عشر سنوات، بمعدل أربعمائة دينار سنوياً، وقرض آخر على عطار من أهل الكرخ مبلغه ستمائة دينار اتفق على تسديد ثلثه عاجلاً، ويتم تسديد الثلثين على دفعتين بسنتين، بمعدل مائتي دينار في كل عام (١٤٢).

ثالثاً: المقارضة(١٤٣)

إذ يشترك الطرفان المقرض والمقترض في عمل معين، يقدم المقرض الأموال، والمقترض العمل، والربح على حسب ما يشترط عليه الطرفين، هذا النوع من العمل يلجأ إليه التجار والصيارفة وغيرهم، لتبرير الأرباح المفروضة على المبالغ المقترضة (١٤٤).

أما ما يتعلق الأمر بالضمانات التي تقدم إزاء هذه القروض، فهي أما أن تكون بتقديم كفيل ضامن، أو بتقديم رهن، فمن حيث الكفيل، فقد ذكر الصابئ(١٤٥) أن عدداً من المعاملات المالية (الائتمان) تمت بضمان كفيل، وكفيلين (١٤٦).

ومن حيث الرهون المقدمة، فقد يكون الرهن المقدم بقيمة القرض (١٤٧)، وربما أكثر من ذلك، وقد تعددت أنواع هذه الرهون، كأن تكون حلي ومجوهرات (١٤٨)، أو عقاراً (١٤٩)، أو رهن عبد، أو ثوب (١٥٠).

وهناك قروض قدمت بدون رهن، من ذلك ما ذكره الأصفهاني (١٥١)، عن قرض بمبلغ عشرة آلاف دينار أعطي كما قيل بدون رهن. إن إيراد هذا النص المنفرد ليدل على قلة القروض من هذا النوع، وأن معظمها إن لم تكن جميعها، كان يحدد ضمان لها (١٥٢).

١٣٩- الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٢٩.

١٤٠- الشيباني، محمد بن الحسن، (ت، ١٨٩هـ / ٨٠٤م): المخارج من الحيل، نشره وأعتنى بتصحيحه: يوسف شخت، (ليبسك، ١٩٣٠م)، ص٢٦ –٣٢؛ النسفي: طلبة الطلبة، ص٦٥.

١٤١- نشوار المحاضرة، ج٣ / ص٥٠.

١٤٢- التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ / ص٢٧٦–٢٧٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦ / ص٣٥٣ – ٣٥٤.

١٤٣- الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٦٠.

١٤٤- العلي، صالح أحمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م)، ص٢٧٩.

١٤٥- الوزراء، ص٢٠٧ – ٢٠٨.

١٤٦- السرخسي، محمد بن أبي السهل، (ت، ٤٨٣هـ / ١٠٩١م): المبسوط،الطبعة الأولى،(مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤هـ)، ج٢ / ص٣٧.

١٤٧- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج٣ / ص٦٤.

١٤٨- الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٩٥؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٢ / ص٨٨.

١٤٩- الشيباني: المخارج في الحيل، ص٧٨؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت، ٥٩٧هـ / ١٢٠١م): تلبيس إبليس، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٦٨هـ)، ص٤٠٠؛ ابن أبي الدم الحموي، إبراهيم بن عبد الله، (ت، ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م): أدب القضاء، تحقيق: محمد مصطفى الزحيلي، (دمشق، لا. ت)، ص٥٣٧.

١٥٠- السرخسي: المبسوط، ج١٩ / ص٧٩.

١٥١- الأغاني، ج١٥ / ص٣٢٧.

١٥٢- السعدي: الصيرفة والجهبذة، ص٢٧٤.

أما كيفية التصرف بالرهن إذا لم يسدد القرض في الوقت المتفق عليه، فهو على حسب ما اشترط عليه، وقد أشارت نصوص إلى قرض لم يسدد بأكمله، إذ دفع منه مبلغاً معيناً، والباقي كان ضمانة قطعاً ذهبية، حدد لها أجل معين، واتفق على إن حل الأجل ولم يسدد باقي المبلغ، يتم بيع القطع الذهبية حسب الوكالة التي أعطيت للمقرض سابقاً، وقد أخذ المقرض قدر حسابه وأعاد المبلغ الباقي إلى صاحب الشأن [١٥٣]، ويبدو أن الرهن كان أكثر قيمة من المبلغ المطلوب.

وأشار الكليني[١٥٤] إلى قروض قدمت بضمان رهن دارٍ أو قطعة أرض وكان الاتفاق القائم بين الطرفين ينص إذا سدد المبلغ في الوقت ألغيت وثيقة الرهن، وبالعكس سيصبح الدار أو الأرض من حصة المقرض وتسجل له.

هناك شيء مهم يتعلق بهذه الرهون التي قدمت كضمانات للقروض، هو أن المقرض لا يحق له التصرف به إلا بإذن من صاحبه المقترض، فأما أن يزوده بكتاب إذن يمنح بموجبه حق التصرف به، أو يعطي وكالة ببيعة[١٥٥].

أما إذا كانت القروض بدون ضمان يكفل مبلغها، فالتقاضي بأمر تسديدها قد يصل إلى مجلس القضاء، ولدينا نصاً تأريخياً يشير إلى مثل هذه الحالة، حينما اقترض وزير المعتضد بالله العباسي المعزول الحسين بن القاسم[١٥٦] عشرات الآلاف من الدنانير، وتعذر عليه تسديدها، فقام غرماؤه أصحاب القروض بتقديم دعوى بها إلى القاضي للبت في أمرها[١٥٧] وتوجد قروض قدمت بها ظلامة للخليفة، وربما يودع المقترض في السجن، في حالة مماطلته في تسديدها[١٥٨].

وتشير نصوص تاريخية إلى مساعدات قدمت إلى الذين عليهم ديون، واستعصى تسديدها، بعض منها قدمت من بيت المال من حصة الغارمين[١٥٩] وقد يقوم الخلفاء بتسديدها، كما قام الخليفة هارون الرشيد العباسي بتسديد دين على من وصف بالقول: "شيخ من قدماء الكتاب" [١٦٠].

وذكر الصابئ[١٦١] أن الوزير علي بن محمد بن الفرات سدد دين قدره خمسمائة دينار عن رجل قدم بها ظلامة للوزير.

١٥٣- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١ /ص٣١٢ – ٣١٣؛ الفرج بعد الشدة، ج٢ /ص٣٩٠ – ٣٩١.

١٥٤- محمد بن يعقوب بن إسحق، (ت، ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، (طهران، ١٣٧٨هـ)، ج٥ / ص١٧٢.

١٥٥- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١ / ص٣١٢ – ٣١٣؛ المصدر نفسه، ج٣ /ص٦٤؛ الفرج بعد الشدة، ج٢ / ص٣٩٠ – ٣٩١.

١٥٦- هوالحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب،لقبه عميد الدولة، وزر للمقتدر والمعتضد بالله العباسي،(ت،٣٢٢هـ/٩٣٣م).الصفدي: الوافي بالوفيات،ج١١/ص٧٤.

١٥٧- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١ / ص٢٦٠.

١٥٨- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥ / ص٣٣٥.

١٥٩- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله، (ت، ٢١٤هـ / ٨٢٩م): سيرة عمر بن عبد العزيز،الطبعة الخامسة،(دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م)، ص٦٨؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت، ٢٣٠هـ / ٨٤٤م): الطبقات الكبرى،(دار بيروت، بيروت، ١٩٨٥م)، ج٥، ص٣٤٩.

١٦٠- الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٧٠.

الخاتمة

لقد توصل الباحث في بحثه هذا إلى أن معظم الفعاليات المالية السائدة في عصرنا هذا، إنما تمتد جذورها إلى أعماق تاريخنا الإسلامي من معاملات صيرفية متنوعة كإيداع وادخار واستلاف وغيرها. وقد أرخ كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للهلال بن المحسن الصابئ لهذه التعاملات المالية.

- يبدو أن المجتمع الإسلامي كان متطوراً آنذاك من ناحية الاستفادة القصوى من الأموال سواء كانت ثابتة أو متداولة، وقد قامت لذلك مؤسسات مصرفية أقامتها العديد من الصيارفة والجهابذة.
- استفاد الهلال بن المحسن من موقعه في البلاط العباسي فكان مطلعاً على العديد من الأسرار والوثائق التي مكنته من رفد كتابه بنصوص ذات مصداقية.
- تميز الهلال بن المحسن الصابئ بمؤلفات كانت مزيجاً من الأدب والتاريخ، فصارت خير معينٍ للباحثين والمؤرخين في الحصول على المعلومة الموثقة بأيسر الطرق.
- كان لأسلوب الهلال بن المحسن الصابئ في الكتابة وتمكنه منها الأثر في صياغة هكذا تحفة أدبية وتاريخية.
- يعد كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء من الكتب التي رفدت المكتبة الإسلامية بمعلومات قيمة أرخت الأحوال الاقتصادية وطرق التعامل المالي المتبع آنذاك في الحياة اليومية وفي الأسواق التجارية.

المصادر والمراجع

الابهيشي، محمد ين حمد، (ت، ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م):

١. المستطرف في كل فن مستظرف، (القاهرة، ١٣٦٨هـ).

ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، (ت، ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م):

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).

الأزدي، يزيد بن محمد بن أياس، (ت، ٣٣٤هـ / ٩٤٥م):

٣. تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، (القاهرة، ١٩٦٧م).

الأزهري، محمد بن أحمد، (ت، ٣٧٠هـ / ٩٨١م):

٤. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب،(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت، ٣٥٦هـ / ٩٦٦م):

٥. الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م).

البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت، ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م):

١٦١- الوزراء، ص٢٤٤.

٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (ط١، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٢٩٩هـ).

البيهقي، إبراهيم بن محمد، كان حياً عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م:

٧. المحاسن والمساوئ،(مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٦م).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت، ٨٧٤هـ / ١٣٦٩م):

٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(وزارة الثقافة،دار الكتب، مص،بلات)

التنوخي، المحسن بن علي، (ت، ٣٨٤هـ / ٩٩٤م):

٩. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي،(بيروت، ١٩٧٢م).

الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت، ٢٥٥هـ / ٨٦٨م):

١٠. البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون،(ط٤، بيروت، ١٩٤٨م).

الجهشياري، محمد بن عبدوس، (ت، ٣٣١هـ / ٩٤٢م):

١١. الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مطبعة البابي، القاهرة، ١٩٣٨م).

ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت، ٥٩٧هـ / ١٢٠١م):

١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،(الطبعة الأولى، حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٨هـ)،

ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله، (ت، ٢١٤هـ / ٨٢٩م):

١٣. سيرة عمر بن عبد العزيز، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م).

ابن حجة الحموي، أبي بكر بن عل بن محمد، (ت، ٨٣٧هـ / ١٤٢٧م)

١٤. ثمرات الأوراق في المحاضرات، (القاهرة، ١٣٦٨هـ).

أبي الدم الحموي، إبراهيم بن عبد الله، (ت، ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م):

١٥. أدب القضاء، تحقيق: محمد مصطفى الزجيلي،(دمشق، لا. ت).

الحموي ياقوت، ياقوت بن عبد الله، (ت، ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):

١٦. معجم الأدباء = إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، تحقيق: حسان عباس،(دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت، ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م):

١٧. تاريخ بغداد، (دار الكتاب العربي، بيروت، لا. ت).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت، ٦٨١هـ / ١٢٨٢م):

١٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، لا. ت).

الدمشقي، جعفر بن علي (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):

١٩. الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، (مطبعة الغد، الإسكندرية، ١٩٧٧م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت، ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):

٢٠. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، (مطبعة القدسي، القاهرة، ١٣٦٩هـ)

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت، ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م):

٢١. مختار الصحاح، (القاهرة، ١٩٥٠م).

الزبيدي، محمد مرتضى، (ت، ١٢٠٥هـ / ١٧١٩م):

٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس، (ط١، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ).

ابن الزبير، القاضي الرشيد، (ت، القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي):

٢٣. الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مراجعة: صلاح الدين المنجد، (الكويت، ١٩٥٩م).

السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت، ٧٧١هـ / ١٣٧٠م):

٢٤. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (ط١، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٧١م).

السرخسي، محمد بن أبي السهل، (ت، ٤٨٣هـ / ١٠٩١م):

٢٥. المبسوط،(ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤هـ).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت، ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):

٢٦. الطبقات الكبرى، (دار بيروت، بيروت، ١٩٨٥م).

الشابشتي، علي بن محمد، (ت، ٣٨٨هـ / ٩٩٨م):

٢٧. الديارات، تحقيق: كوركيس عواد،(مطبعة المعارف، ط١، بغداد، ١٩٥١م).

ابن شهر آشوب، أبي عبد الله محمد بن علي (ت،٥٨٨هـ/ ١١٩٢ م):

٢٨. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف،١٩٥٦ م)

الشيباني، محمد بن الحسن، (ت، ١٨٩هـ / ٨٠٤م)

٢٩. المخارج من الحيل، نشره وأعتنى بتصحيحه: يوسف شخت،(ليبسك، ١٩٣٠م)

الصابئ، الهلال بن المحسن، (ت، ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م):

٣٠. رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، (مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م).

٣١. تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨م).
الصفدي، خليل بن أيبك، (ت، ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م):
٣٢. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى،(دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م).
الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله، (ت، ٣٣٥هـ / ٩٤٦م):
٣٣. أخبار الراضي بالله والمتقي لله، نشره: ج. هيورت،(ط٢، دار الميسرة، بيروت، ١٩٧٩م).
٣٤. إشعار أولاد الخلفاء، عنى بنشره ج. هيورت، (ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م).
ابن طقطقا، محمد بن علي بن طباطبا، (ت، ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م):
٣٥. الفخري في الآداب السلطانية،(دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م).
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (ت، ٥٧١هـ / ١١٧٥م):
٣٦. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،(دار الفكر للطباعة والنشر، د. م، ١٩٩٥م).
ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، (ت، ٥٨٠هـ / ١١٨٤م):
٣٧. الأنباء من تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، (لايدن، ١٩٧٣م).
الغزي، تقي الدين بن عبد القادر، (ت، ١٠١٠هـ / ١٦٠١م):
٣٨. الطبقات السنية في تراجم الحنفية،(لا. م، لا. ت).
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت، ٢٧٦هـ / ٨٨٦م):
٣٩. عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة،(القاهرة، ١٩٦٣م)
القرطبي، عريب بن سعد، (ت، ٣٦٩هـ / ٩٧٩م):
٤٠. صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(دار سويدان، بيروت،لا. ت).
القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت، ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م):
٤١. أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (دار الآثار، بيروت، لا. ت).
كافي الكفاة، الصاحب بن عباد، (ت، ٣٨٥هـ / ٩٩٥م):
٤٢. المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين،(ط١، بيروت، ١٩٩٤م).
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت، ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م):
٤٣. البداية والنهاية، (ط١، القاهرة، ١٩٦٦م).
الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحق، (ت، ٣٢٨هـ / ٩٣٩م):
٤٤. الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري،(طهران، ١٣٧٨هـ).
مسكويه، أحمد بن محمد، (ت، ٤٢١هـ / ١٠٣٠م):

٤٥. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، اعتناء: هـ. ف، مدروز، (مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٩١٥م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت، ٧١١هـ / ١٣١١م):

٤٦. لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،(دار إحياء التراث، ط٣، بيروت، لا. ت).

٤٧. مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري وآخرون،(مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٥م).

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق، (ت، ٤٣٨هـ/١٠٤٧م):

٤٨. الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان،(دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م).

النسفي، عمر بن محمد، (ت، ٥٣٧هـ / ١١٤٢م):

٤٩. طلبة الطلبة، (دار الطباعة العامرية، القاهرة، ١٣١١هـ).

٥٠. سيرة النبي، راجع أوصلها وضبط غريبها: محمد محيي الدين عبد الحميد، (مطبعة مجازي، القاهرة، لا. ت).

الهمداني، محمد بن عبد الملك، (ت، ٥٢١هـ / ١٠٢٧م):

٥١. تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار سويدان، بيروت، لا. ت).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، (ت، ٢٨٤هـ / ٨٩٧م):

٥٢. التاريخ،(دار صادر، بيروت، لا. ت).

المراجع

٥٣. الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م.

٥٤. السعدي، أمل عبد الحسين عباس: الصيرفة والجهبذة في العراق من القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري،رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه آداب في التاريخ الإسلامي، بغداد، ١٩٨٥م.

٥٥. العلي، صالح أحمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.

٥٦. الكبيسي، حمدان عبد الحميد: أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.